بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الطبعة الثالثة

ان كتاب : « الفكر الاسلامى والمجتمع المعاصر .. مشكلات الأسرة والتكافل » مضى على ظهور الطبعة الأولى منه الآن عدة سنوات .

ورغم أنه نداء وتحذير للمسلمين فى مجتمعاتهم العديدة من اتباع ظواهر الشيخوخة فى المجتمعات الأوروبية ، فيما يتعلق بما يسمى : « حركة تحرير المرأة » .. لم يزل اتجاه هذه الحركة فى مجتمعات المسلمين هو اللحاق بما تم فعلا ، وبما وصلت اليه المرأة الأوروبية فى علاقتها بالرجل فى ثورتها التحريرية .

وقد تجاوزت المرأة الأوروبية فى حركتها التحريرية : مرحلة التجربة الجنسية قبل الزواج بعد أن أصبحت أمرا عاديا .. الى طلب الغاء مبدأ الزواج ذاته ، وترك الأمر الى مشاركة الرجل على أساس من المساواة فى الانفاق على الحياة المشتركة بين الرجل والمرأة معا .

كما تجاوزت مرحلة بناء الأسرة وتكوينها متماسكة بين أبوين فيها ، الى طلب انجاب الطفل فى غير نسب واضح الى أبيه ، أو فى غير اعتماد على أب معروف له ، طالما أمه قد وقع اختيارها على من تعاشره جنسيا فى فترة ما ، طالت أو قصرت هذه الفترة .

وكذلك تجاوزت المرأة الأوروبية ما كان تتصوره فى الماضى من خطيئة الزنا .. الى جعله أمرا مقبولا لا يؤثر الآن على العلاقة الزوجية التى تتم على أساس تقليدى(١) .

ومازالت المرأة الأوروبية تنفر من رخصة التعدد فى الاسلام التى جاءت لدفع حرج الزنا وصيانة المرأة من الامتهان ، ولكنها تقر الآن فى سعة وانتشار : مبدأ تبادل الزوجات فى صور مختلفة ، كما لا تستهجن جمع الرجل لامرأتين فى سرير واحد يعاشر احداهما أمام الثانية ، واحداهما قد تكون زوجته .

---

(١) تقرير نشرته صحيفة News of the world فى عددها الصادر يوم الاحد ١٢ يونية سنة ١٩٧٧ تحت عنوان : The file of mr. Big فى الصفحتين السادسة والسابعة .

واذا كان كتاب « الفكر الاسلامى والمجتمع المعاصر .. مشكلات الأسرة والتكافل » ــ قد ساق أدلة عديدة على أن ما يسمى بظواهر « تحرير المرأة » فى المجتمعات الأوروبية يشبه الى حد كبير ظواهر المجتمع الجاهلى التى ألغاها الاسلام برسالته ، فان تطور هذه الظواهر فى المجتمعات الأوروبية فى الفترة التى مضت على الطبعة الأولى لهذا الكتاب : يتيح الفرصة للقول بأن ما كان على عهد الجاهلية فى نظرة الرجل الى المرأة لم يكن وليد عهد معين . وانما هو شأن اجتماعى يرتبط ارتباطا وثيقا بالاتجاه المادى فى سيادته وطغيانه على الحياة الانسانية فى اى وقت . فأينما يوجد هذا الاتجاه وفى أى زمن ، توجد الظواهر الاجتماعية التى ألغاها الاسلام ، والتى تصل اليها الآن ما تسمى بثورة « تحرير المرأة » .

وليس هناك أحد لا يستهجن وأد البنات خشية الفقر . وقد استهجنه الاسلام وحرمه . وكثيرون يظنون أن هذه النظرة أثر من آثار الجهل ، ولكنها ظاهرة من ظواهر الحياة المادية ، يمكن أن تتكرر اليوم مثلا على عهد الحضارة المادية التكنولوجية والعلمية فى المجتمعات الأوروبية .

روت صحيفة The News of the world (١) واسعة الانتشار فى لندن ، قصة أبوين مع طفلتهما حديثة الولادة تعيد الى الذاكرة ظاهرة وأد البنات خشية الفقر فى المجتمع الجاهلى ، فتحكى الأم لهذه الطفلة : أنه كان عليها وعلى والد الطفلة أن يختارا بين الطفلة فتبقى لديهما ويقومان بالانفاق على تنشئتها ، وعندئذ يجب عليهما أن يتنازلا عن سيارتهما لانهما لا يستطيعان الجمع بين الانفاق على الطفلة ، وعلى السيارة معا ، واما أن يستبقيا السيارة ويتركا الطفلة لمن يتبناها فينفق عليها . واختارا السيارة ، وتركا الطفلة فى المستشفى لمن يرغب فى تبنيها . وتقول الصحيفة على لسان الوالدة : « انها تتصور أن يحتقرها الجيران ، ولكنها تعتقد أنها صنعت الصواب » . ثم تروى :

« وقد حضرت من المستشفى الى المنزل والطفلة موجودة هناك . ولكن لا أود أن أراها هنا مرة أخرى . وما يهمنى هو أن تكون سعيدة فى أسرة ما . وقد حملت ست مرات فى ست سنوات . وفى كل مرة يبدو لنا أننا سنحصل على مزيد من النقود ، كى نعمل شيئا . ولكن ما نحصل عليه كان لتسوية الحسابات علينا . ونحن الآن ندفع وندفع . »

كما تحكى الصحيفة عن والد الطفلة : أن أجره الأسبوعى كان ثمانين

---

(١) فى ١٥ مايو سنة ١٩٧٧ فى الصفحة السادسة .

جنيها ، ولم يزل يدفع أقساط سيارته التى اشتراها جديدة فى عام ١٩٧٤ . وهو يقول : « أنا أعرف أن بعض الناس يحس بأنى أفكر فى نفسى فقط . ولكنى حكيت لمجموعة من العاملين ، وقد بدا منها أنها تفهمت الموضوع جيدا !! . وهـذه المسألة ستنتهى قريبا . وعلى كل حال لا تتكرر مرة أخـرى . لأنه ستجرى لى عملية جراحية »(١) .

نعم لم يقم الوالدان بوأد الطفلة . ولكن قاما بتركها لمن يأخذها ، خشية الفقر أو خشية الاضطرار الى التنازل عن السـيارة . وما قاما به يصـور الاتجاه المادى فى الحياة . وهو ذلك الاتجاه الذى يقـوم على الأنانية وحب الذات ، وذلك ما كان شائعا على عهد الجاهلية أيام الرسول عليه الصلاة والسلام ، وقام الاسلام بالغاء ظواهره وآثاره ، وبتكوين عادات انسـانية جديدة لدى المؤمنين ممن كانوا جاهليين .

فالأسرة غير المسلمة فى المجتمعات المتحضرة واقعة اليـوم تحت تأثير الاتجاه المـادى . والأسرة المسلمة فى المجتمعات الاسـلامية واقعة بدورها تحت اغراء ما يسمى « بثورة المرأة » فى تلك المجتمعات الأوروبية .

واذا جاز للأسرة فى تلك المجتمعات الأوروبية أن تدخل عهد الشيخوخة والفناء ، أو عهد الفوضى والانحلال ، تحت أى شعار براق ، فالأسرة المسلمة لا يجوز لها أن تتقلد ظواهر الانحلال والفـوضى ، لأنها لم تدخل بعـد مرحلة الحرية الذاتية التى تخلصها من أمراض المجتمعات المستضعفة .. لم تصبح بعد فى مستوى المرأة الأوروبية يوم أن شاركت فى بناء الحضارة الانسـانية فأنشأت تقاليد للأسرة واستمتعت بالحياة الانسانية الكريمة فترة طـويلة من الزمن ، قبل أن يطغى عليها هذا الاتجاه المـادى فيذلها فى سبيل طلب المتعة، ويجعل منها سلعة يساوم عليها .

* * *

والاسلام بعبادة الزكاة يريد مجتمعا انسانيا ، بعيدا عن طغيان الاتجاه المـادى .. يريد أن تكون مودة الانسان للانسان ، ورحمة الانسان بالانسان، وعون الانسان لأخيه الانسان فى اطار المحبة ، وليس فى اطار الاكراه باسم القانون ، أو الاذلال عن طريق ملكيته للمال .

والاسلام يريد التكافل على أساس القربى الى الله . والقربى الى الله هى الخلاص من الأنانية وحب الذات . فالله يقصد لذاته عن طريق محبـة الجميع ورعاية الآخرين .

* * *

---

(١) يقصد عملية التعقيم .

ولعل فى اعادة الطبعة الجديدة لهذا الكتاب : ما يكرر من جديد : الدعوة الى الأسرة المسلمة ، والمجتمع الاسلامى الى أخذ الحيطة فى تقليد المجتمعات الغربية فى تفكك روابط الأسرة فيها ، وفى الاستجابة لاغراء ظواهر الأنانية فى طغيانها ، وفى بعد السلوك فيها عن المستوى الانسانى الكريم .

لعل فيها ما ينبه الى أن رسالة الاسلام هى رسالة القيم الانسانية لمحافظة الانسان على انسانيته ، فى السلوك ، والتفكير ، والمعاملة .. ودعوتها هى لتجنيبه الانحطاط فى سبيل شهوته وهواه .

والله الموفق .

مصر الجديدة : فى رمضان سنة ١٤٠١ هـ

يولية سنة ١٩٨١ م

دكتور محمد البهى

* * *

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الطبعة الأولى

ان الفكر الغربى فى اتجاهه العلمانى بعد أن استوطن المجتمعات الاسلامية وبقى مستوطنا فيها بعد الاستقلال السياسى وتركز فى الحكم والتوجيه ، وبعد أن آزره اتجاهه الآخر المعاصر وهو الاتجاه الماركسى اللينينى فى هذين الجانبين أيضا من جوانب حياة المجتمع الاسلامى .. امتد هذا الفكر الى جانبى الأسرة والتكافل فى حياة المجتمع ، وأخذ يستأثر فى تكييف علاقة الرجل بالمرأة ونظام الأسرة فى نشأتها ومجرى حياتها بما يقربها اما الى تلك العلاقة فى المجتمع الكاثوليكى فى قيود الزواج والطلاق ، أو بما يميل بها نحو « المساواة » الحرفية بين الذكر والأنثى فى التجربة الجنسية قبل الزواج ووضع حق البقاء أو الانفصال بعده بيد القضاء فى المجتمع الشيوعى أو المجتمع الآخر غير الكاثوليكى .

وأصبحت تعكر صفو النظام الاسلامى فى فطرته وبساطته وفى مساوقته للطبيعة البشرية فى المجتمعات الاسلامية رواسب الحضارة الغربية المادية التى حكمت العلاقة بين الرجل والمرأة منذ عهد الرومان الى الوقت الحاضر فى صورة فكر انسانى ، وهى رواسب تتميز اما باحتقار المرأة وامتهانها والغاء شخصيتها ، أو باطلاق الحبل على الغارب لها تنزل هى بنفسها الى حيث تشاء فى علاقتها بالرجل . وأصبح يتردد فى هذا المجتمع أو فى ذاك من المجتمعات الاسلامية طلب المساوة فى الارث ، واتمام العلاقة الزوجية أو فصمها عن طريق القضاء ، وكفالة التجربة الجنسية قبل قيام الزوجية ! .. وما شاكل ذلك مما يطفو الآن فى حياة المجتمعات الغربية كظواهر لمرض شيخوختها وفنائها .

... كما أصبح المجتمع الاسلامى المعاصر — أى مجتمع فى مجتمعاته — مجتمع ضرائب .. وليس مجتمع زكاة .. اصبح مجتمع ضرائب تجبى للقيام بخدمات اتفق المواطنون فى مجالسهم التشريعية على تحقيقها وفرض الضرائب من أجلها . وهى خدمات تعليمية وصحية ومرفقية وأمنية .. وغيرها مما يتطلبه المجتمع الحضارى المعاصر لتوفير أسباب الرفاهية المادية لأفراده . ونسى الزكاة ومصارفها ، التى تعتبر حجر الزاوية فى اقامة العلاقات الانسانية وتماسكها فى المجتمع الانسانى والتى تعتبر كذلك المصدر الرئيسى للدعوة الاسلامية وتمويلها .

وبما آل اليه المجتمع الاسلامى فى هـذا الجانب أو فى ذاك .. اصبح الاسلام غريبا ، أو كاد ، الا فى لفظه والانتساب اليه .. وخلت حياة الأسرة ، والمجتمع ، والفرد من تطبيق مبادئه . وبذلك تخلف فيه فراغ تسعى الاتجاهات الفكرية المـادية وظواهر الشيخوخة والفناء فى المجتمعات الغربية لشـغله مستعينة بالميل الى التقليد فى المجتمعات الاسلامية والانصياع فى غير احتياط وفى غير ادراك للذات الى مفاهيم الحياة الغربيـة دون وعى بآثارها على شخصياتها واستقلالها .

وكتاب : « الفكر الاسـلامى والمجتمع المعاصر .. مشـكلات الأسرة والتكافل » الذى بأيدينا يعرض لمظاهر الفكر الغربى فى علاقة الرجل بالمرأة ونظام مجتمعه فى التكافل عن طريق الضرائب وصنوف التأمين المختلفة .. فى مواجهة نظام الاسلام فى تكييف تلك العلاقة ورسم الطريق السوى لبناء قوى عليها .. وكذا فى مواجهة نظامه الآخر فى قيام علاقة اجتماعية انسـانية بين الأفراد ، شعارها : المجتمع للفرد ، والفرد للمجموع .

« .. المسلمون تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم وهم يد على من سـواهم » .

واذ يعرض الكتاب ذلك ينبه المسلمين ، وهم فى مستهل نهضتهم بعـد ركود طال مداه ، الى خطر قبول الفكر الغربى الانسانى فى علاقة الرجـل بالمرأة ..وخطر اغفال الزكاة على المجتمع الاسلامى وعلى الدعوة الاسلامية كذلك .. كما يوثق ما يعرضه من ظواهر اجتماعية ومن آراء وفكر هنا وهناك بما يبعد الشك ويقوى اليقين .

وهو فى تنبيه المسلمين الى ما يجب أن يحتاطوا فى الأخذ به من الفكر الغربى وظواهر مجتمع الغربيين ، سواء من الشرق أو من الغرب .. يطلب اليهم أن يعيدوا التقييم لمبادىء الغرب ومبادىء الاسـلام معا ، وأن لا يظلوا واقفين عنـد حد الصورة الفاتنة للغرب بفعل الاسـتعمار وبالتقدم العلمى والتكنولوجى لمؤسساته ومصانعه ... وعند الصـورة الأخرى التى رسمها تخلف الشرق الاسلامى وتفسير الجهلة والأميين والمغرضين لتعاليم الاسلام .

ان القرآن مفتوح لتقييم مبادئه .. وان المجتمـع الغربى مكشوف لرؤية فضائحه ، واهتزاز القيم الانسانية فيه ، وطغيان المادية على علاقاته ، وغلبة أعراض الشيخوخة والفناء على حياته التى يحياها .

ان تقليد الغرب فيما يسلكه فى علاقة الرجل بالمرأة أو فيما يقف عنده فى أنواع التكافل المادى ، ونقل ذلك الى المجتمع الاسلامى الناهض .. هو علاج لضعيف بما يزيد فى ضعفه .. ولبطىء فى حركته بما يجمد أو يشل حركته .. ولمتردد بين الحياة والموت بما يجهز على حياته ويقرب يوم مماته .

ان تقليد الغرب فى علمه وفى تكنولوجيته واجب على المسلمين أن يسايروه ويتخذوا منـــه معلما وخبيراً ولكن علة العلل القاتلة هى فى تقليد سلـــوكه الانسانى ونظمه الاجتماعية .

وبهذا الكتاب ــ مع الكتاب الآخـــر الذى ظهر قبل الآن وهو « الفكر الاسلامى والمجتمع المعـــاصر .. مشكلات الحكم والتوجيه » تتم الجـــوانب الرئيسية للمجتمع الاسلامى التى خضع فيها للفكر الغربى بدون وعى وتحت الاغراء بمفاتن حضارته المادية وحدها .

ونسأل الله التوفيق والسداد ..

مصر الجديدة فى اغسطس سنة ١٩٦٧

محمـــد البهى